

تفسير ابن كثير

الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

وهكذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال : (الآن وقد عصيت قبل) أي

: أهذا الوقت تقول ، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ؟ (وكنت من المفسدين

(أي : في الأرض الذين أضلوا الناس ،) وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا

ينصرون) [القصص : 41] وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في

حاله ذلك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله ، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل ،

رحمه الله : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن

يوسف بن مهرا ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما قال

فرعون : (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) قال : قال لي جبريل : [يا

محمد] لو رأيتني وقد أخذت [حالا] من حال البحر ، فدسسته في فيه مخافة أن تناله

الرحمة " ورواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم ، من حديث حماد

بن سلمة ، به وقال الترمذي : حديث حسن . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن

عدي بن ثابت وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : " قال لي جبريل : لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر ، فأدسه
في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة " . وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا ، وابن جرير
أيضا ، من غير وجه ، عن شعبة ، به وقال الترمذي : حسن غريب صحيح . ووقع في
رواية عند ابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن غندر ، عن شعبة ، عن عطاء وعدي ،
عن سعيد ، عن ابن عباس ، رفعه أحدهما - وكان الآخر لم يرفعه ، فالله أعلم . وقال
ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن عبد الله
بن يعلى الثقفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أغرق الله فرعون ، أشار
بأصبعه ورفع صوته : (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) قال : فنخاف
جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه ، فجعل يأخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه
فيرمسه . وكذا رواه ابن جرير ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبي خالد ، به موقوفا وقد روي
من حديث أبي هريرة أيضا ، فقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن
عنبسة - هو ابن سعيد - عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، رضي الله

عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من الحال في فيه ، مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له " يعني :

فرعونكثير بن زاذان هذا قال ابن معين : لا أعرفه ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : مجهول ،

وباقى رجاله ثقات . وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف : قتادة ، وإبراهيم التيمي ،

وميمون بن مهران . ونقل عن الضحاك بن قيس : أنه خطب بهذا للناس ، فالله أعلم .